سعد زغلول نصار :

الترجمـــة بين التنوير والإبداع (*)

الحديث عن الترجمة، حديث حاضر على الدوام، فهى نافذة تفـتح على الفكر العالمى، وتضيف إلى العربية إضافات تصب فى الفكر والعلوم وفى الإبداع.. لا تستطيع أمة أن تنغلق على نفسها وتقطع بينها وبين مـا ينتجه العالم وتبدعه قرائح أدبائه وفنانيـه، وعقـول علمائـه ومبتكـرات اختراعاته.. هذه الترجمة لعبت وتلعب دوراً بالغ الأهمية فى الإطلال على العالم، مثلما تتيح الترجمة العكسية من العربية إلى اللغات الأخرى فرصاً واسعة لتعرف العالم علينا وعلـى إنتاجنـا العلمـى والأدبـى والثقـافى والإبداعى.. وتفتح لمفكرينا وأدبائنا مجالات واسعة للانتـشار والتـأثير، وتقيم هذه وتلك جسوراً حية وفهماً متبادلاً بيننا وبين شعوب العالم.

ومكانة الترجمة إلى العربية، وأثرها على الأمة العربية بعامة - مكانة قديمة، لعبت من خلاله دوراً حضاريا بالغ الأهمية فـى تاريخنـا القـديم

---

* الأهرام ٢٠٠٧/١/١٠

والحديث، لم يقتصر فقط على المساحة النشطة التى شغلتها مع بداية النهضة العلمية التى عرفتها مصر فى عهد محمد على، وإنما كانت ومن قبل ذلك عاملا أساسيا فى الانفتاح الواعى على الثقافات المحيطة فى العصر العباسى الذى تجاوز بكثير المحاولات الأولى للترجمة التى جرت فى العصر الأموى.

بفضل هذه الحركة التى ما انقطعت إلاّ لتعود إلى التواصل، انفتحت الحضارة العربية على التراث الإغريقى، وأدى معبر الأندلس الإسلامية إلى احتكاك ثقافى تبادلى بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية وإلى قيام ثم ازدهار حركة الترجمة العكسية بين العربية واللاتينية، مع احتكاك على الناحية الأخرى بالثقافة الشرقية الهندية والصينية عبر الدولة الغزنوية، واقترنت حركة الترجمة النشطة بالهجرة التبادلية بين الفلاسفة والعلماء والأدباء، وإلى تلاقح امتد فى كل مجالات العلوم والطب والفلسفة والرياضيات والفلك والفكر والأدب، وإلى ذلك كله ترجع المكانة المرموقة التى بلغتها الحضارة العربية فى العصر الوسيط، وهو هو الذى دعا مصر فى نهضتها الحديثة بعد بعوثها إلى فرنسا إلى إنشاء مدرسة الألسن (١٨٣٥) التى كانت نواة بالغة الأهمية فى تأهيل المترجمين وتمهيد الأرض لإحياء حركة الترجمة والتى ساهم فيها مثقفو الشام بدور ملحوظ إلى جوار المصريين.

الاقتناع بدور وأثر الترجمة فى التنوير بل الإبداع، كان قاسماً مشتركاً لدى النقاد والمثقفين والمبدعين، وقد رأينا فى حديثنا عن الإذاعة كيف كان الإذاعى الموسوعى سعد زغلول نصار واحداً من الذين ضربوا بمعاولهم بدأب وإخلاص فى حقل الترجمة واستنبتوا تربتها قبل

إنشاء المركز القومى للترجمة.. كان الإقبال على الترجمة محاولات فردية بإمكانيات فردية وبرؤية فردية يستقل بها المترجم اختياراً وأداءً، ويستطيع المتابع لحياتنا الثقافية أن يرى المحاولات الفردية التى بذلها الرعيل الأول وترجموا بها إلى العربية كثيراً من نفائس الفكر والأدب العالمى.. بهذه الترجمات أطللنا على روائع الأدب العالمى فى الرواية والشعر والمسرح والقصة القصيرة، وتعهدت بعض السلسلات الدورية بنشر هذه الترجمات بأثمان زهيدة. على أن الجميل اللافت أن الإقبال على الترجمة لم يكن فقط اهتمام أساتذة اللغات والنقاد، بل اقتنع بأهميتها وأقبل على الإسهام فيها مبدعون، ربما كان الأقرب أن يصرفهم الإبداع أو تصانيف التأليف عن الترجمة.. الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى وصاحب الإنتاج الغزير فى المباحث الإسلامية، وفى النقد والأدب، وفى القصة والرواية، وفى الأدب التمثيلى، وفى التراجم والسير، وفى التربية والاجتماع والثقافة - نراه يترجم من الأدب اليونانى أوديب ملكا، وأنتيجونا وألكترا وروائع أخرى لسوفوكليس.. والأستاذ الأديب إبراهيم عبد القادر المازنى صاحب معركة وكتاب الديوان مع العقاد، وكاتب حصاد الهشيم وقبض الريح وخيوط العنكبوت وإبراهيم الكاتب وصندوق الدنيا - نراه يهتم اهتماما بالغا بالترجمة، بل ويكتب فى طرقها وأساليبها، ويخوض بنفسه مضمارها فيترجم " ساتين " أو " ابن الطبيعة " لأرتز يباشيف، ومختارات من القصص الإنجليزى لأوسكار وايلد وآخرين، و" جريمة اللورد سافيل " لأوسكار وايلد، و " آباء وأبناء " لإيفان تورجنيف، و " مدرسة الوشايات " لشريدان، و " آلن كوترمين " باسم : " الشاردة " لسريدر هجرد. الذى قد لا يعرفه كثيرون، أن كاتبنا الفذ يحيى حقى، صاحب الدراسات النقدية،

وصاحب إبداعات " قنديل أم هاشم "، و" البوسطجي "، و " أم العواجز "، و " صح النوم "، و " امرأة مسكينة "، و " دماء وطين "، و " الفراش الشاغر " - كان مؤمنا حتى النخاع بأهمية الترجمة ودورها فى تحريك الحياة الثقافية، وترجم هذا " الاعتقاد " إلى ترجمات متميزة نهض عليها مقتطعا لها جانبا كبيرا من وقت اهتماماته الإبداعية والنقدية.. ترجم " الأب الضليل " لأديث سوندرز عن قصة حياة الأب الضليل : " الكسندر ديماس " الكبير - مؤلف الفرسان الثلاثة، والكونت ديمونت كريستو، وهو الأب غير الشرعي لألكسندر ديماس الابن مؤلف " غادة الكاميليا "، وترجم " البلطة " لميخائيل سادوفيانو، و" لاعب الشطرنج " لستيفان زفايج، وكتاب " القاهرة " (فى عيدها الألفى) لدزموند ستيوارت، ومسرحية " كنوك " أو "انتصار الطب" التى قام عليها مجد مؤلفها جيل رومان، ومسرحية " الطائر الأزرق " لموريس ميترلينك التى نشرتها معها دار المعارف بذات المجلد ضمن مسرحيات يحيى حقى المترجمة، فى احتفاء واضح بالترجمة والمترجم وما اختاره ليترجمه باقتدار لعملين متميزين من المسرح العالمى.. كانت حركة الترجمة على قدم وساق فى الستينيات والسبعينيات قبل أن تدخل مؤسساتنا الثقافية بثقلها هذا المضمار، وقبل تشكيل المركز القومى للترجمة الذى اختارت له وزارة الثقافة الأديب الناقد الكبير الدكتور جابر عصفور صاحب الحضور اللافت والنشاط الكبير فى حياتنا الثقافية.

الدكتور لويس عوض، أحد الفرسان الكبار وأعلام التنوير الذين ضربوا بمعاولهم عن علم وفهم واستنارة - فى مضمار الترجمة. فهو فضلاً عن كونه أستاذ اللغة الإنجليزية القدير، فإنه من كوكبة الموسوعيين الذين

انفتحوا على الفكر الإنسانى بعامة، وعلى منابع الأدب والثقافة العالمية فى كل باب، وانعكس ذلك فى إنتاج غزير، أخذت الترجمة نصيباً كبيراً منه، فترجم : " فن الشعر" لهوراس، و " بروثيوس طليقاً " للشاعر شلى، و " صورة دوريان جراى " و " شبح كانترفيل " لأوسكار وايلد، وثلاثية أوريست لأسخيلوس : " أجا ممنون " و " حاملات القرابين " و " الصافحات "، و " خاب سعى العشاق " لشكسبير.. لم يقتصر عطاء الدكتور لويس عوض على الترجمات التقليدية، وإنما نقل أيضا لقراء العربية حصاد مشاهداته الحية فى رحلاته نصف السنوية التى كان الأهرام يوفده فيها إلى أوروبا لمشاهدة أحدث ما يقدم على مسارح انجلترا وفرنسا، ويتابع عن قرب تطورات الاتجاهات الفكرية والأدبية والفلسفية، فكانت مقالاته سنة ١٩٦٩ التى جمعت فى كتابه : " الفنون والجنون فى أوروبا ١٩٦٩ " - (كتاب الهلال - يناير ١٩٧٠).. ضم آخر تطورات الحركة المسرحية ومشاهداته لزهاء خمس عشرة مسرحية فى مسارح لندن وباريس، وعرض فيه أيضاً دراسته لثورة الشباب الأوروبى والأمريكى التى تبلورت آنذاك فيما سمى حركة " الهيبز " وما نبع عن هذه الحركة من سلوك وفن وفكر. من هذه الصور الحية - مشاهداته عام ١٩٦٤ للمهرجان والاحتفالات التى أقيمت فى " ستراتفورد " مسقط رأس شكسبير وفى إنجلترا بعامة بمناسبة مرور أربعمائة سنة على مولده، وتابع فى مقالاته التى نشرت آنذاك فى الأهرام وجمعت فى كتابه " البحث عن شكسبير " (كتاب الهلال - فبراير ١٩٦٥) حصاد متابعاته ومشاهداته للحركة المسرحية عبر هذه الاحتفالات فى كل من إنجترا وفرنسا، كما عالج فيه أهم القضايا الشكسبيرية وأسرار حياة هذا العبقرى

وفنه.. وقدم فى كتابه : " رحلة الشرق والغرب " (اقرأ العدد ٣٥٤ - يونية ١٩٧٢) حصاد مشاهداته ومتابعاته فى رحلته الروسية واليوغوسلافية (أغسطس ١٩٧٠)، ورحلته الأمريكية (أكتوبر ١٩٧١)، والأوروبية (فبراير ١٩٧٢).. بهذا التمكن الذى أتاح له هذه المتابعة الحية، عالج فى كتابه الضخم " المسرح العالمى " أهم المسرحيات العالمية منذ أيام الإغريق لأسخيلوس وسوفوكليس، عبوراً بمسرحيات آرثر ميللر ومسرحيات راسين وأبسن وأوسكار وايلد وبرنارد شو وجوركى وبيراندلو ويوجين أونيل وتنيسى وليامز وشكسبير الذى خصه بدراسات أوسع، والتأم هذا العطاء الضخم المتميز بما كتبه : " فى الأدب الإنجليزى الحديث "، وفى " دراسات فى النظم والمذاهب "، وفى كتابه الأخير الضافى عن " الثورة الفرنسية ". كان الدكتور عوض جامعة شاملة يسر لقراء العربية - بإنتاجه المتميز الغزير - مساحة هائلة فى دراسة المسرح والرواية والنقد والآداب بعامة، وظل على مدار نصف قرن لا يكل عن تقديم كل جديد متميز فتح به نوافذ بالغة الأهمية والخصوبة على آخر إنتاج العالم فى الفن والمسرح والفكر والرواية والمذاهب السياسية والحركات الفلسفية.

أخشى أنه برغم الجهود الفردية الثرية، كالتى يقدمها فى عراضة وعمق العلامة الجليل الدكتور محمد عنانى الذى ترجم معظم أعمال شكسبير وأعمال لميلتون وبايرون وأليكس هيلى، ودرر المفكر العربى الأصل إدوارد سعيد : " الاستشراق "، و " المثقف والسلطة " و " تغطية الإسلام ".. ورغم الاهتمام المتزايد للمجلس الأعلى للثقافة بالترجمة، والملتقيات الدولية التى يعقدها تباعاً وينشر بحوثها، وقد أفدت إفادة جمة من ملتقى الترجمة ومجتمع المعرفة الذى حضرته فى فبراير ٢٠٠٦ -

إلاّ أننا لا نزال نحتاج إلى الدور المتميز الذى كان يؤديه الدكتور لـــويس عوض بنقل متابعاته ومشاهداته الحية برحلاته التى كان يعود منها عـــامر الوفاض بدررٍ، ما أحوجنا أن نواصل الإطلال عليها فى زمـــن صـــارت الترجمة باباً لا غناء عنه للإلمام بما يموج به العالم من جديد فى كل باب !